وقال : [من البسيط]

لـمَّـا رأيـتُ سُـلُـوِّي غـيـرَ مُـتَّـجِـهٍ وأنَّ عَـزْمَ اصـطـبـاري عـاد مـفـلـولا
دخلتُ بالرَّغمِ منِّي تحتَ طاعتكُمْ لـيـقـضـيَ الـلـهُ أمـراً كـان مـفـعـولا
وفيها تُوفِّي

هزارسب بن تنكيز بن عياض

أبو كاليجار، تاج الملوك، الكردي، قد ذكرنا بعض أحواله.

وقال محمد بن الصابىء: في يوم الأربعاء حادي عشرين رمضان تُوفِّي في منصرفه عن الباب باب السلطان من أصبهان إلى خوزستان بموضع يعرف بفرندةَ[1]، وكان قد تجبَّر وتكبَّر وتسلَّط وتفرعن، وتزوَّج بأخت السلطان، وأخذها في وقته هذا، واستصحبها معه، ووقفتُ على كتاب منه في هذا المعنى إلى الوزير أبي العلاء يقول: كتابي هذا أطال الله بقاء سيدنا الوزير الأجل، فلك الدين ولي الدولة من العسكر المنصور من أعمال الري، يوم الثلاثاء سادس رجب، وقد تيسَّر لي من الوصول إلى الخدمة السلطانية ما استقامت به الأحوال، وتضاعف لي به زيادة الإقبال، وبلَّغني أقصى البغية والآمال، وكلُّ ذلك من بركات مشاركته، معدودٌ في ميامن صحبته ومخالصته، ولَعمري إنه ـ أدام الله عُلوَّه ـ الصديقُ الأصدقُ، والشفيقُ الأشفقُ الأوفقُ، ويتشوَّف إلى معرفة أخبارنا، ويتشوَّق إلى علم أحوالنا وآثارنا، وقد أوعزت في هذه المكاتبة بحالي، كأنه مشاهدٌ، والحاضر يرى ما لا يراه الغائب، لأنه شاهد.. وذكر كلاماً يدلُّ على الكبر والجبروت، وأنَّ أخت السلطان عادت إلى الريِّ وأنه مرض بعلة الذَّرَب، وقام في الليلة التي مات فيها ألفين وأربع مئة مجلس.

قال المصنف رحمه الله: وهذا بعيدٌ، وكأنه في مدة مرضه أقام هذه المجالس.

السنة الثالثة والستون وأربع مئة

فيها كانت الوقعة العظيمة بين ألب أرسلان وملك الروم، كان ألب أرسلان قد سار من هَمَذان في ذي القعدة سنة اثنتين وستين، فلمَّا قارب أرْحبِش ومنازكرد[2] من بلد

(١) في النجوم الزاهرة ٥/ ٨٦ : بخرندة.

(٢) هكذا يقول أهلها: منازكرد ـ بالكاف ـ وذكرها ياقوت في معجم البلدان ٥/ ٢٠٢ : مَنازجِرْد، يعني بالجيم.

أخلاط فتحهما، وقتل وسبى، وبعث بين يديه الإفشين في سرية، وكان أريسغي زوج أخت السلطان معه جماعة من النَّاوكية، وكان السلطان يطلبهم، فساروا منحازين إلى البلاد التي للروم، خائفين من السلطان، ورحل السلطان إلى بلد ميَّافارقين، فخرج إلى خدمته نصر بن مروان وهو خائفٌ منه، وكان الوزير نظام الملك قد مضى إليه، وخرج به السلطان فقرَّبه، وخلع عليه، وقسط عليه مئة ألف دينار للجند، وأخرج للسلطان من الإقامات شيئاً كثيراً أخذه من الرعية قرَّره عليه، وقال: مالنا إلى أموال الفلاحين حاجة. فحمل الإقامات مِنْ خاصَّته، وفتح حصن السويداء وحصوناً كثيرة، وكان الغُزُّ يبقرون بطون النساء، ويقتلون من الأسارى من يضعف عن المشي معهم، وشرع جماعةٌ من الغلمان إلى حرَّان ونواحيها فنهبوها، وهرب الناس إلى حصن الرافقة، ونزل السلطان الرُّها وقاتله أهلُها، وطمَّ الخندق بالأشجار وغيرها، وكانوا قد بذلوا أول ما نزل خمسين ألف دينار وينصرف عنهم، فرضي، وفتر القتال عنهم، فقالوا: لا نُعطيك المال حتى تعدم آلات الحرب وتُحرقها، فأمر بكسرها وتحريقها، فلمَّا فعل ذلك رجعوا، وكان عنده رسول من الملك، وهو الواسطة بينهما، فاغتاظ السلطان، وتقدَّم بمسك الرسول وقتله، فقال نظام الملك: هذا لم تجْرِ به عادة، ولا أُحِبُّ أن تُسنَّ سنةٌ لا يُعرَفُ باطنُها ويَقْبُح ظاهرها. ولطف به حتى أفرج عن الرسول، وأعطاه جواب كتبه وصرفه، ورحل في الحادي عشر من ربيع الآخر طالباً للفرات، لحالين: أحدهما تأخُّر خبر الإفشين، والثاني تقاعد مَنْ بقي معه من العراقيين عسكر طُغْرُلْبَك عن القتال، وخبَتْ نفوسهم لتأخُّر أرزاقهم، ولمَّا انصرف عن الرُّها استخرج أهلُها القتلى وقطعوا رؤوسهم ليحملوها إلى ملك الروم، وأحرقوا جثثهم، وصالح أهلَ حران على مال، ونزل السلطان على الفرات رابع عشر ربيع الآخر، ولم يخرج إليه محمود صاحب حلب، فغاظه ذلك، وعبر الفرات، وأخربتِ العساكرُ بلد حلب ونهبوها، ووصلوا إلى القريتين من أعمال حمص، ونهبوا بني كلاب، وعادوا بغنائم عظيمة، وهربت العرب إلى البرية، وراسل محمودَ، وطلب منه الحضور، فامتنع، وحمل إليه الأموال التي قسطها على بلاده، فقال: ما أعرف لامتناعك من قصدِ خدمتي، مع إقامتك الخطبة لي، واتصال مكاتبتك وجهاً، وقد علمتَ إحساني إلى كلِّ

مَنْ حضر عندي من ملوك الأطراف، فأرسل محمودُ والدتَه وولدَه بخدمة قليلة، فزاد غيظُ السلطان، واتفق أن الخليفة بعث لمحمود الخِلَع التي طلبها لمَّا خطب للقائم مع نقيب النقباء، منها الفَرَجيةُ، والعمامةُ، وفرسٌ بمركب ثقيل، ولواءٌ. ولوالدته فرسين وثياباً، ولبني عمه خيلاً وثياباً. وخرج محمود والتقى النقيب، فسلَّم عليه عن الخليفة، فنزل وقبَّل الأرض، ولبس الخِلَع، وركب الفرس، ودخل إلى حلب، وأقام النقيب يومين لم يرَ من محمود فيهما ما ظنَّ، فركب إليه، قال محمود: أنا أُطيعكم، وهذا السلطان على بُعدٍ، وطلبتُ حراستي وحراسةَ بلادي، فأمَّا البلاد فقد شاهدتُ خرابَها ونهبَها، وأنا مطالَبٌ بالخروج إليه والأموال التي تُفقرني، ومهدَّدٌ بالحصار والبوار، وهذا كتاب السلطان عندي بالإعفاء من دَوْس البساط. فقال النقيب: هاتِ الكتاب لأمضيَ إليه. فأعطاه إيَّاه، فخرج إليه وكان نازلاً على الفندق، فلمَّا وصل بعث إليه السلطان بفرس النُّوبة، وأكرمه واستدعاه، وبلَّغه عن الخليفة ما حمله إليه، فقام وقبَّل الأرض، وشكر ودعا، وقال له: ما الذي أخرجك؟ فقال: جئتُ لأُخرج محموداً إلى خدمتك، فأَخْرَجَ إليَّ هذا الكتاب. فقال: صحيح، أنا كتبتُه تطييباً لقلبه مع بُعدي عنه، فأمَّا إذا قرُبتُ منه فما أقنع بهذا، وأيُّ عذرٍ لنا إذا كان منتمياً إلينا وقد عصى علينا ونصب المجانيق ليستعدَّ للحصار! وأيُّ حرمةٍ تبقى لنا عند الملوك؟! ويجب أن ترجع إليه وتضمن له عني كلَّ ما نريد. قال النقيب: فقلت: سمعاً وطاعة. وثقُلَ عليه ما بعث له الخليفة، فقال بعض الحُجَّاب: ما فعل هذا إلَّا بأمرِك، فسكن، واجتمعتُ بنظام الملك، وقلت: محمود يخدم بعشرين ألف دينار للسلطان، وخمسةِ آلاف دينار لك، ويدفعُ باللقاء إلى حين عود السلطان من دمشق، وعدتُ إلى حلب، وأخبرتُ محموداً فقال: أمَّا المالُ فما عندي حَبَّة، وأما الخروج فلا سبيل إليه. ونزل السلطان على حلب يوم الأحد لليلةٍ بقيَتْ من جمادى الآخر، فقاتلهم، فذَلُّوا، فأرسل إليه محمود يطلب الموادعة، وخرج إليه في الليل، وسارت معه والدتُه، فأخذت بيده ودفعته إلى السلطان، وقالت: هذا ولدي قد سلَّمتُه إليك، فاحكم فيه بما ترى. فتلقَّاه بما أحبَّ وأكرمه، وقال: عُدْ إلى قلعتك، وترجع إلينا في غد لنُظهِرَ من إكرامنا ما تستحِقُّه. فرجع إلى القلعة، وعاد من الغد، فتلقَّاه نظام الملك والحُجَّاب والخواصُّ، ولم يتخلف غير

السلطان، ودخل على السلطان، فخلع عليه الخِلَعَ الجليلة، وأعطاه الخيل بمراكب الذهب والفضة والكوسات والأعلام، وعتَبَه، فقال محمود: واللهِ ما كنتُ إلا على نية تَلَقِّيك حتى حَنقت منك، فعلم السلطانُ مَنْ فعل ذلك، فكاشر وأشار إلى ابن خان الذي قتل أخاه على صور، وعلم، فهرب إلى دمشق، ثم عاد إلى السلطان، فرضي عنه، وتقدَّم السلطان إلى محمود وأيتكين السليماني بالمضيِّ إلى دمشق وإقامة الخطبة للقائم، وبينما هم على ذلك إذ وردت رُسل ملك الروم بردِّ مَنيح وأُرحبش ومنازكِرْد إليه، وبحمل الهدية، وجاءه خبرُ الإفشين وعَوْدُه سالماً، وضجر السلطان من المقام بحلب، فكرَّ راجعاً، فقطع الفرات، وهلك أكثر الدواب، وعاد رسول الروم مستبشراً إلى صاحبه، فقوَّى ذلك عزمَ ملكِ الروم على اتِّباعه وحربه.

وأمَّا حديث الإفشين فإنَّ أريسغي هرب من السلطان ومعه طائفة من الناوكية يريد القسطنطينية، وجاء إلى دربند وعليه قلعةٌ فيها امرأة يقال لها : مريم، فسألها أن تُمكِّنَه من العبور، فلم تفعل ذلك، وكان الملك لمَّا بلَغه خبرُ أريسغي بعث ميخائيل لقتاله ظناً منه أنه عدوٌّ، فلمَّا قَرُبَ منه ميخائيل أرسل إليه: ما جئت لأحاربكم، وإنما جئتُ ملتجئاً إليكم من السلطان. فقال: كذبتَ. فقال: لو كان هذا صحيحاً ما أخربتَ بلادنا ونهبتَ وقتلتَ. فحلف له، فلم يُصدِّقه، واقتتلوا، فنُصِرَ أريسغي على الروم، فقتل منهم خلقاً عظيماً، وأمر ميخائيل وقطع عليه سبعين قنطاراً ذهباً، وقَرُبَ الإفشين منهم، فقال لميخائيل: القصة كذا وكذا، وأنا أُطلِقُك ولا آخذُ منك شيئاً، وتجيروني من الإفشين. وعلم سِرَّه فأمَّنه، وسارا جميعاً إلى الملك، وقال : بيننا وبينك هدنةٌ، ولمَّا دخلتُ بلادك ما تعرَّضتُ لأحد، وهؤلاء اللاوكية أعداءُ السلطان، وقد نهبوا بلادَك وأخربوها، ويجب أن تُسلِّمهم إلينا، وإلَّا أخربتُ بلادكَ ولا هدنةَ بيننا. فقال الملك: كلُّ ما ذكرتَه صحيح، ولكن عادتُنا من لجأ إلينا أن لا نُسلِّمه. فرجع الإفشين فدرس الروم كأن لم يكن، فلم يَسْلَم منه إلَّا حصن منيع وبلد كبير، ووصل إلى درب مريم، ووقع الثلج، فأقام حتى ارتفع، وسار إلى خِلاط ومعه من الغنائم ما لم يغنَمْه أحد، وكتب إلى السلطان بذلك، وسار السلطان إلى الوزير، فجاءه خبرُ ملك الروم أنه قد

تجهَّز في العساكر الكثيرة، وأنه قاصد بلاد الإسلام، وكان السلطان في قليل من العسكر؛ لأنهم عادوا جافلين من الشام، وتلك الجَفلة استهلكت أموالهم ودوابَّهم، فطلبوا مَنْ ألزمهم، وبقي السلطان في أربعة آلاف غلام، ولم يرَ الرجوعَ لجميع العساكر فتكون هزيمة، فأنفذ بخاتون الشقيرية مع نظام الملك والأثقال إلى هَمَذان، وأمره بجمع العساكر وإنفاذها إليه، وقال لوجوه عسكره الذين بقوا معه: أنا صابرٌ صبرَ المحتسبين، وصائرٌ في هذه الغزاة مصير المخاطرين، فإن نصرني الله فذاك ظنِّي في الله تعالى، وإن تكُنِ الأخرى فأنا أعهد إليكم لولدي ملك شاه أن تسمعوه وتطيعوه وتقيموه مقامي. فقالوا: سمعاً وطاعة. وبقي جريدةٌ[1] مع العسكر الذي ذكرنا، ومع كلِّ غلام فرسٌ يركبه، وآخر بجنبه، وسار قاصداً ملك الروم، وأرسل أحدَ الحُجَّاب الذين كانوا معه في جماعة من الغلمان مقدمةً له، فصادف عند خِلاط صليباً تحته مُقدَّم الروم في عشرة آلاف، فحاربهم، فنُصِرَ عليهم، وأسر المُقدَّم، وكان من الروس، وأخذ منه الصليب، وبعث إلى السلطان بذلك، فاستبشر وقال: هذا أمارة النصر. وأرسل بالصليب إلى هَمَذان، وجَدَع أنف المقدَّم، ثم أمر بأن يحمل إلى الخليفة، ووصل ملك الروم إلى منازكِرد فأخذها بالأمان، وقصد ناحية السلطان في موضع يعرف بالرَّهوة بين خِلاط ومنازكِرد لخمس بَقِينَ من ذي القعدة، فبعث إليه السلطان بأن يرجع إلى بلاده ويتمِّم الصلح الذي توسَّطه الخليفة، فقال: لا أرجع ـ وكان يوم الأربعاء ـ وأقام السلطان إلى نهار الجمعة، وجمع وقتَ الصلاة أصحابَه، وقال: إلى متى نحن في نقص وهم في زيادة؟ أريد أن أطرح نفسي عليهم في هذه الساعة التي جميع المسلمين يدعون لنا على المنابر، فإن نُصِرْنا عليهم وإلّا مضينا شهداءَ إلى الجنة، فمن أحبَّ أن يتبعني فليتبَعْ، ومن أحبَّ أن ينصرف فلينصرِفْ مصاحباً، فما ها هنا اليوم سلطان، وإنما أنا واحد منكم، وقد فتحنا على المسلمين ما كانوا عنه في غناء. فقالوا: أيها السلطان، نحن عبيدك، ومهما فعلتَ تبعناك.

(١) الجريدة: خيل لا رجالة فيها. المعجم الوسيط (رجل).

وكان قد اجتمع إليه عشرةُ آلاف من الأكراد، وإنما اعتماده بعد الله تعالى على الأربعة آلاف الذين كانوا معه، وملكُ الروم في مئة ألف مقاتل، ومئة ألف نَقَّاب، ومئة ألف روزجاري[1]، ومئة ألف صانع، وأربع مئة عجلة يجرُّها ثمان مئة جاموس عليها نعال ومسامير، وألفا عجلة عليها السلاح والمجانيق، وآلة الزحف، وكان في عسكره خمسة وثلاثون ألف بطريق، ومعه منجنيق يمدُّه ألف رجل ومئتا رجل، ووزن حجره عشرة قناطير، وكل حلقة منه مئتا رطل بالشامي، وكان في خزانته ألف ألف دينار ومئة ألف ثوب إبريسم، ومن السُّروج الذهب والمناطق والمصاغات مثلُ ذلك، وكان قد أقطع البطارقةَ البلاد، مصر والشام وخراسان والري والعراق، واستثنى بغداد، وقال: لا تتعرَّضوا لذلك الشيخ الصالح فإنه صديقُنا ـ يعني الخليفة ـ وكان عزمُه يُشتي بالعراق ويصيف بالعجم، واستناب في القسطنطينية من يقوم مَقامه، وعزم على خراب بلاد الإسلام، فلمَّا كان يوم الجمعة وقت الصلاة ـ وقد شاور السلطانُ أصحابَه ـ قام قائماً، ورمى القوس والنُّشَّاب من يده، وشدَّ ذنب فرسه بيده، وأخذ الدبوس، وفعل أصحابُه كذلك، وبغتوا الروم وصاحوا صيحةً واحدةً ارتجَّت لها الجبال، وكبَّروا، وصاروا في وسط الروم، فقاتلوهم، وما لَحِقَ الملكُ يركبُ فرسَه، وما ظنَّ أنهم يقدموا عليه، فنصر الله المسلمين عليهم فانهزموا، وتبعهم السلطانُ بقيةَ نهار الجمعة وليلةَ السبت يقتل ويأسر، فلم ينجُ منهم إلا القليل، وغنموا جميعَ ما كان معهم، ورجع السلطان إلى مكانه، فدخل عليه الكوهراني فقال: إنَّ أحد غلماني قد أسرَ ملك الروم، وكان هذا غلامي قد عُرِضَ على نظام الملك فاحتقره وأسقطه، فكلَّمتُه فيه، فقال مستهزئاً به: لعلَّه يجيئنا بملك الروم أسيراً. فأجرى الله تعالى أسر ملك الروم على يده، واستبعد السلطانُ ذلك وأرسل خادماً يقال له: شاذي كان قد أرسله له، فلمَّا رآه عرفه، فرجع وأخبر السلطان، فأمر بإنزاله في خيمة، ووكل به، واستدعى الغلامَ وسأله: كيف أسرْتَه؟ فقال: رأيتُ فارساً وعلى رأسه صلبان، وحولَه جماعةٌ من الخدم الصَّقالبة، فحملتُ عليه لأطعنه، فقال لي واحدٌ منهم: لا تفعَلْ، فهذا الملك. فأحسنَ السلطانُ إليه، وخلع عليه، وجعله من خواصِّه، فقال: أريد بشارة غزنة، فأعطاه إيَّاها.

(١) في (خ): جرحى! والمثبت من المنتظم ١٦/ ١٢٤ ، والبداية والنهاية ٢/ ١٠٠ .

ثم إنَّ السلطان أحضر الملك ـ واسمه أرمانوس ـ وضربه ثلاث مقرعات، ورفسه برجله ووبَّخه، وقال: ألم أُرسِلْ إليك رُسُلَ الخليفة أطال الله بقاءه في إمضاء الهدنة، فأبيتَ؟ ألم أُرسِلْ إليك مع الإفشين أطلبْ أعدائي، فمنعتَهم؟ ألم تغدِرْ بي وقد حلفتَ لي؟ ألم أبعَثْ إليك بالأمس أسألُكَ الرجوع، فقلتَ: قد أنفقتُ الأموال، وجمعتُ العساكر الكثيرة حتى وصلتُ إلى ها هنا، وظفرتُ بما طلبتُ، فكيف أرجع إلى أن أفعل ببلاد المسلمين مثل ما فعلوا ببلادي؟ وكيف رأيتَ أثر البغي؟ ـ وكان قد جُعِلَ في رجليه قيدين وفي عنقه غِلًّا ـ فقال: أيها السلطان، قد جمعتُ العساكر من سائر الأجناس، وأنفقتُ الأموال لآخذ بلادك، ولم يكن النصرُ إلَّا لك، وبلادي ووقوفي على هذه الحال بين يديك بعد هذا، فدَعْني من التوبيخ والتعنيف، وافعَلْ ما تُريده. فقال له السلطان: فلو كان الظَّفرُ لك ما كنتَ تفعلُ بي؟ قال: القبيح. فقال: آهٍ، صدق وَاللهِ، ولو قالَ غيرَ هذا لَكَذَب، هذا رجلٌ عاقلٌ جَلْدٌ، لا يجوز أن يُقتل. ثم قال له: وما تظنُّ الآنَ أن أفعلَ بك؟ قال: أحد ثلاثة أقسام، أما الأول فقتلي، والثاني: إشهاري في بلادك التي تحدَّثتُ بقصدها، وأما الثالث فلا فائدة في ذِكْرِه، فإنك لا تفعلُه. قال: وما هو؟ قال: العفو عني، وقبول الأموال والهدنة، واصطناعي وردِّي إلى ملكي مملوكاً لك وبعض أسفهسلاريتك، ونائبك في الروم، فإنَّ قتْلَكَ لي لا يُفيدك، هم يقيمون غيري. فقال له السلطان: ما نويتُ إلَّا العفوَ عنك، فاشترِ نفسك. فقال: يقول السلطان ما يشاء. فقال: عشرة آلاف ألف دينار. فقال: واللهِ إنك تستحقُّ ملك الروم إذ وهبتَ لي نفسي، ولكن قد أنفقتُ أموالَ الروم واستهلكتُها منذ وُلِّيتُ عليهم في تجريد العساكر والحروب، وأفقرتُ القوم. ولم يزلِ الخطابُ يتردَّد إلى أن استقرَّ الأمر على ألف ألف وخمس مئة ألف دينار، وفي الهدنة على ثلاث مئة ألف دينار وستين ألف دينار في كلِّ سنة، وأن يُنفذ من عساكر الروم ما تدعو الحاجة إليه، وذكر أشياء. فقال: إذا مننتَ عليَّ عَجِّلْ سراحي قبل أن يُنصِّبَ الرومُ ملكاً غيري، فيفوتُ المقصودُ، ولا أقدر على الوصول إليهم، فلا يحصل شيء مما شرطتَه عليَّ. فقال السلطان: أُريد أن تعود أنطاكية والرُّها ومنبج ومنازكِرْد، فإنها أُخذت من المسلمين عن قرب، وتُفرِّج عن أسارى المسلمين. فقال: أمَّا البلادُ فإن وصلتُ سالماً إلى بلادي أنفذتُ إليهم بالعساكر

وحاصرتُهم وأخذتُها منهم وسلَّمتُها إليك، فأما القوم فلا يسمعون مني، وأمَّا أسارى المسلمين فالسمع والطاعة، إذا وصلتُ سرَّحتهم وفعلتُ معهم الجميل. فأمر السلطان بفَكِّ قيوده وغلِّه، ثم قال: أعطوه قدحاً ليسقينيه، فظنَّه له، فأراد أن يشربه، فمُنع وأُمر بأن يخدم السلطان ويناوله القدح، فأومأ إلى تقبيل الأرض، وناول السلطانَ القدح فشربه، وجَزَّ شعرَه، وجَعلَ وجهَه على الأرض، وقال: إذا خدمتَ الملوكَ فافعل كذا.

وإنما فعل السلطان ذلك لسبب اقتضاه، وهو أنَّ السلطان لمَّا كان بالري وعزم على غزو الروم، فقال لفرامرز بن كاكويه: هو ذا، أمْضي إلى قتال ملك الروم، وآخذه أسيراً، وأُوقِفُه على رأسي ساقياً. فحقَّقَ الله قولَه، واشترى جماعةً من البطارقة، واستوهبَ آخرين، فلمَّا كان من الغد أحضره السلطان وقد نصب له سريره ودَسْتَه الذي أُخذ منه، فأجلسه عليه، وخلع عليه قَباءَه وقَلَنْسوته، وألبسه إيَّاهما بيده، وقال له: قد اصطنعتُكَ، وقنعتُ بأمانتك، وأنا أسيِّرُك إلى بلادك، وأردُّك إلى ملكك. فقبَّل الأرضَ، وكان لمَّا بعث الخليفةُ ابنَ المحلبان إليه أمر بكشف رأسه، وشدِّ وسطه، وأن يُقبِّل الأرض بين يديه، فقال له السلطان: ألستَ الفاعلَ بابن المحلبان رسول الخليفة كذا وكذا؟ فقُم الآن واكشِفْ رأسَكَ، وشُدَّ وسطَكَ، وأومىء إلى ناحية الخليفة، وقَبِّلِ الأرض. ففعل، فقال السلطان: إذا كنتُ أنا وأنا أقلُّ الملوك الذين في طاعته فعلتُ بِكَ ما فعلتُ وأنا في شرذمةٍ من جندي وقد حشدتَ دين النصرانية، فكيف لو كتبَ الخليفةُ إلى ملوك الأرض يأمرهم فيكَ بأمر؟ وعقد له السلطان رايةً فيها مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. وأنفذ معه حاجبين ومئة غلام، فوصلوا به إلى القسطنطينية، وركب معه وشيَّعه قَدْرَ فرسخ، فأراد أن يترجَّل، فمنعه السلطان وحلف عليه، وضمَّه إليه، وتعانقا، وعاد السلطان عنه[1].

ثم حكى ملك الروم وقال: العادة الجارية أن الملك الخارج من القسطنطينية إذا أراد الخروج إلى حرب دخل البِيْعة الكبرى، واستشفع بصليب ذهب بها مُرصَّعٍ باليواقيت. قال: فدخلتُ البِيْعة لمَّا عزمتُ على هذه السَّفرة، واستشفعت إليه، وإذا بالصليب قد زال عن موضعه إلى القبلة الإسلامية، فعجبتُ من ذلك، وسوَّيتُه إلى

(١) ينظر هذا الخبر بنحوه في المنتظم ١٦/ ١٢٣ـ١٢٨ .

المشرق، وأتيتُه من الغد، وإذا به قد مال إلى القبلة، وأمرتُ بشدِّه بالسلاسل، ثم دخلتُ إليه في اليوم الثالث، وإذا به قد مال إلى القبلة، فتطيرتُ وعلمتُ أني مغلوب، ثم غلبني الهوى والطمع، فسِرْتُ إلى بلاد الإسلام، فكان مني ما كان.

وقال أبو يعلى بن القلانسي: إن عسكر صاحب الروم كان ستَّ مئة ألف من الروم وسائر الطوائف، وإنَّ عسكر السلطان كان أربعَ مئة ألف مقاتل من الأتراك وجميع الطوائف، والذي ذُكِرَ أنه كان مع السلطان أربعةُ ألاف مملوك هو الأصحُّ؛ لِما ذكرنا من أن العساكر تفرَّقت عنه، ثم كتب السلطان إلى الخليفة بشرح ما جرى، وبعث بعمامة ملك الروم والصليب وما أُخذ من الروم ، وذلك في ثالث عشرين ذي الحجَّة، فقُرئت الكتب في بيت النوبة، وسُرَّ الخليفةُ والمسلمون، وزُيِّنت بغداد تزييناً لم تُزيَّن مثلُه، وعُملت القباب، وكان فتحاً عظيماً لم يكُنْ في الإسلام مثلُه، وعاد السلطان إلى الري وهَمَذان.

وفيها ملكت الفرنج جزيرة صقلية، وسببه أنه كان بها والٍ يقال له: ابن البعباع، فبعث إليه صاحب مصر يطلب منه المال، وكان عاجزاً عمَّا طلب منه، فبعث إلى الفرنج، ففتح لهم الباب ـ أي البلد ـ فدخلوا فقتلوا وملكوا الجزيرة.

وفي هذه السنة ظهر أتْسِز بن أوق مقدَّم الأتراك الغز، وفتح الرملة والبيت المقدس، وضايق دمشق، وواصل الغارات عليها، وأخرب الشام.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن علي[1]

ابن ثابت بن أحمد بن مهدي، أبو بكر، الخطيب، البغدادي، ولد يوم الخميس لِستٍّ بَقِين من جمادى الآخرة سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة ـ وقيل: سنة اثنتين وتسعين ـ بدَرْزيجان قريةٍ أسفل بغداد، وكان أبوه خطيبها، ونشأ ببغداد، وأول ما سمع الحديث سنة ثلاث وأربع مئة وله إحدى عشرة سنة، وقرأ القرآن، وتفقَّه على أبي

(١) المنتظم١٦/ ١٢٩-١٣٥ ، تاريخ دمشق ٥/ ٣١-٤١ ، وتبيين كذب المفتري ص٢٦٨-٢٧١ ، ومعجم الأدباء١٤/ ١٣-٤٥ . وينظرالسير ١٨/ ٢٧٠ .

الطيب الطبري، وأكثرَ من سماع الحديث ببغداد، ورحل إلى البصرة، ثم إلى نيسابور وأصبهان وهَمَذان والجبال، ثم عاد إلى بغداد، وخرج إلى الشام فسمع بدمشق وصور، ووصل إلى مكة، فسمع بها من القاضي القضاعي، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزية في خمسة أيام، ورجع إلى بغداد، وتقرَّب إلى الوزير رئيس الرؤساء ابن المسلمة، وكان قد أظهر بعضُ اليهود كتاباً، وادَّعى أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة ﷺ، فقال الخطيب: هذا الكتاب مُزوَّر. فقال له الوزير: من أين هذا؟ قال: فيه شهادة سعد بن معاذ ومعاوية، وسعد مات يوم الخندق قبل خيبر، ومعاوية أسلم يوم الفتح سنة ثمان، وخيبر كانت سنة سبع. فأعجب الوزيرَ ذلك.

ولمَّا دخل البساسيري بغداد استتر الخطيب، وخرج إلى الشام، وأقام بدمشق وصور وحلب وطرابلس، ثم عاد إلى بغداد سنة اثنتين وستين، فأقام بها سنة، ثم تُوفِّي. وصنَّف الكتب في فنون. وقيل: إنه صنَّف ستة وخمسين كتاباً ليس فيها أكبر من التاريخ، فمن مصنفاته: «التاريخ» مئة وستة أجزاء، و«شرف أصحاب الحديث»، و«الجامع لأخلاق الراوي والسامع»، و«الكفاية في معرفة أصول الرواية»، و«المتَّفِق والمُفترِق»، و«السابق واللاحق»، و«تلخيص المتشابه في الرسم»، و«تالي التلخيص»، و«الفصل والوصل»، و«المكمل في بيان المهمل»، و«الفقيه والمتفقِّه»، و«غُنية المقتبس»، و«الأسماء المبهمة»، و«الصواب في التسمية بفاتحة الكتاب»، و«الجهر بالبسملة»، و«رفع الارتياب»، و«الفنون[1]» و«التبيين [لأسماء المدلِّسين[2]]»، و«تمييز المزيد» و«من وافق اسمُه اسمَ أبيه»، و«من حدَّث فنسي»، و«رواية الآباء عن الأبناء» و«العلم بالكتابة، و«الحيل» و«الرحلة»، و«الرواة عن مالك»، و«الاحتجاج للشافعي» و«التفصيل لمبهم المراسيل»، و«اقتضاء العلم والعمل» ، و«القول في علوم النجوم»،

(١) هكذا وقع في الأصلين (خ) و(ف) تسمية الكتاب: الفنون، ولايوجد للخطيب البغدادي كتاب بهذا العنوان فيما بين أيدينا من المصادر التي ترجمت له، ولعلَّها تصحفت عن القنوت، لكن المصنف سيذكر هذا الكتاب في آخر ذِكر كتبه!.

(٢) هذه الزيادة من مصادر الترجمة.

و«روايات الصحابة عن التابعين»، [و«صلاة التسابيح»، و«روايات الستة من التابعين»[١]، و«مسند نُعيم بن همار[٢]»، و«النهي عن صوم يوم الشك»، و«الإجادة للمعدوم والمجهول»، و«البخلاء» و«الأسماء المتواطئة»، و«النكاح بغير ولي»، و«الوضوء من مسِّ الذَّكَر» و«الرواة عن شعبة» و«الجمع والتفريق»، و«أخبار الطفيليين»، و«الدلائل والشواهد»، و«القضاء باليمين والشاهد»، و«المُوضِح»، و«القنوت».

واتَّفقوا على أنه تُوفِّي يوم الاثنين سابع ذي الحجة في حجرةٍ كان يسكنها بدرب السلسلة جوار النظامية، وحمل تابوتَه أبو إسحاق الشيرازي من المدرسة النظامية إلى الجسر، وعبر به إلى الجانب الغربي، واجتاز به في الكَرْخ، وحمل إلى جامع المنصور، وحضر الأماثل والفقهاء والخلق الكثير، وصلَّى عليه أبو الحسين بن المهتدي، ودُفن إلى جانب بشر الحافي، وكان أحمد بن علي الطُّرَيْثيثي قد حفر هناك قبراً لنفسه، وكان يمضي إليه كلَّ يوم ويختم فيه القرآن عدة سنين، فلمَّا مات الخطيب أرادوا دفنه فيه، فمنعهم وقال: هذا قبرٌ أنا حفرتُه وختمتُ فيه القرآن عدة ختمات. وكان أبو سعد الصوفي حاضراً فقال: يا شيخ، لو كان بشر في الحياة دخلتَ أنت والخطيب عليه أيُّكما كان يقعد إلى جانبه؟ فقال: الخطيب. فقال: فكذا ينبغي أن يكون في حالة الموت. فسكت.

وقيل: إن الطُّرَيْثيثي كان غائباً، فلمَّا حضر أراد نبْشَه، فقيل له: لا يَحسُن. فتركه.

وكان الخطيب يقول: شربتُ من ماء زمزم على نية أن أدخل بغداد وأروي بها التاريخ، وأُدفن إلى جانب بشر الحافي، وقد رزقني الله تعالى دخولها وروايةَ التاريخ بها، وأنا أرجو الثالثة. فدُفنَ إلى جانب بشر، وأوصى أن يُتصدَّق بجميع ما كان عليه من الثياب.

---

(١) هذه الزيادة من (ف) ومصادر الترجمة.

(٢) تحرف اسمه في الأصلين (خ) و(ف) إلى: هشام، والصواب كما أثبتُّ: نعيم بن همَّار: وهو الغطفاني، كذا في إتحاف المهرة ١٣/ ٥٥٦، وتاريخ الإسلام ١٠/ ١٨١، وفي غيرهما من مصادر الترجمة، وكذا ذكره في كتابه موارد الخطيب ص٥٧.

سمع خلقاً كثيراً، وروى عنه جمٌّ غفير، وذكره أرباب السِّير، فقال ابن السمعاني في «الذيل»: هو إمامُ هذه الصنعة وعالمُها، ومن به ظهرت معالمُها، وأحيى رسومَها، ونشر علومَها.

وقال ابن عساكر: هو أحد الأئمة المشهورين والمصنِّفين المذكورين، والحفَّاظ المبرِّزين، ومَنْ به ختم ديوان المحدثين، وكان يذهب مذهب الأشعري، ولمَّا عاد من دمشق إلى بغداد وقع له جزءٌ فيه سماع القائم بأمر الله، فحمل الجزء، ومضى إلى باب الحجرة، وسأل أن يؤذَن له في قراءته، فقال الخليفة: هذا رجلٌ كبير السنِّ في الحديث، وليس له إلى السماع حاجة، ولعلَّ له حاجةً أراد أن يتوصل إليها، فسألوه فقال: حاجتي أن أُملي بجامع المنصور ـ وكانت الحنابلة قد منعته ـ فأذِن له، وحضر النقيب الكامل مجلسه، وأملى بالجامع.

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله: من نظر في مصنَّفاته عرف قَدْرَ الرجل وما هُيِّئ له مما لا يتهيَّأ لمن كان أحفظَ منه كالدارقطني وغيره.

وقد روي عن أبي الحسين بن الطيوري أنه قال: أكثرُ كتب الخطيب مستفادةٌ من كتب الصوري ابتدأ بها.

قال الشيخ أبو الفرج: وقد يضع الإنسان طريقاً فيسلك، وما قصَّر الخطيب على كل حال، وكان حريصاً على علم الحديث، وكان يمشي في الطريق وفي يده جزء يطالعه، وكان حسنَ القراءة، فصيحَ اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر الحسن، وكان قديماً على مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه، فمال إليه أصحابه لمَّا رأوا ميله إلى المبتدعة وآذوه، فانتقل إلى مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وتعصَّب في تصانيفه عليهم، ورمز إلى ذمِّهم، وصرَّح بقدر ما أمكنه، فقال في ترجمة الإمام أحمد رحمة الله عليه: إمام المحدِّثين، ولم يذكره بالفقه، ونسبه إلى الصبوة، فقال في ترجمة حسين الكرابيسي: أيش نعمل بهذا الصبي إن قلنا: لفظنا بالقرآن مخلوق؟ قال: بدعة. وإن قلنا: غير مخلوق؟ قال: بدعة. ثم قدح في أصحابه مهما أمكن، ودسَّ في ذمِّهم دسائس عجيبة، من ذلك أنه ذكر مُهنَّا بن يحيى ـ وكان من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ـ فقال: قال الدارقطني: مُهنَّا ثقة نبيل. ثم حكى عن أبي الفتح الأزدي أنه قال: مُهنَّا منكر الحديث. وهو يعلم أن الأزديَّ مطعونٌ فيه عند

الكلِّ وأول من ضعَّفه هو. قال: حدثني أبو النجيب عبد الغفار الأرموي قال: رأيتُ أهل الموصل يوهنون أبا الفتح الأزدي ولا يعدُّونه شيئاً. قال الخطيب: وحدثني محمد بن صدقة الموصلي قال: قدم أبو الفتح الأزدي بغداد على ابن بُوَيه، فوضع له حديثاً: أنَّ جبريل كان ينزل على النبي ﷺ في صورنا، فأعطاه دراهم.

قال الشيخ أبو الفرج: أفلا يستحي الخطيب أن يقابل قولَ الدارقطني في مُهنَّا بهذا ثم لا يُبيِّن ضعفَ الأزدي؟ فما الذي وثَّقه في الطعن في مهنَّا وضعَّفه في غيره؟ وهذا يُنبئ عن عصبيَّةٍ وقلةِ دين.

ومال الخطيب على الحسن بن علي التميمي وأبي عبد الله بن بطة، وأبي علي بن المذهب، وكان في الخطيب شيئان؛ أحدهما الجريُ على عادة عوام المحدِّثين في الجرح والتعديل، فإنهم يجرحون بما ليس [يجرح][1] لقلة فهمهم. والثاني: التَّعَصُّبُ على مَذهبِ الإمام أحمد رضي الله عنه وعلى أصحابه، وذكر في كتاب «الجهر بالبسملة» أحاديثَ يعلم أنها لا تصحُّ، وكذا في كتاب «القنوت»، وذكر في مسألة صوم يوم الغيم وتحريمه حديثاً يعلم أنه موضوع، واحتجَّ به، ولم يذكر عِلَّته، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: «من روى حديثاً عني وهو يرى أنه كذب، فهو أحد الكذَّابين»[2].

وقال إسماعيل بن أبي الفضل القُومِسي وكان من كبار الحُفَّاظ، صدوقاً، له معرفة حسنة بالرجال والمتون، عزيز الديانة: ثلاثةٌ من الحُفَّاظ لا أُحِبُّهم لشدة تعصُّبهم وقلَّة إنصافهم: الحاكم أبو عبدالله النيسابوري، وأبو نُعيم الأصفهاني، وأبو بكر الخطيب.

ولقد صدق إسماعيل؛ فإن الحاكم كان متشيعاً، والآخران أشعريان متعصِّبان للأشاعرة والمتكلِّمين، وما يليق هذا بأصحاب الحديث؛ لأن الحديث جاء في ذمِّ الكلام، وقد أكَّد الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه في هذا حين قال: رأيي في أصحاب الكلام أن يُركبوا على البغال، ويُطاف بهم في القبائل.

---

(١) مابين حاصرتين من المنتظم ١٦/ ١٣٣ .

(٢) أخرجه أحمد (١٨١٨٤)، والترمذي (٢٦٦٢)، وابن ماجه (٤١) من حديث المغيرة بن شعبة، وأحمد (٢٠١٦٣)، وابن ماجه (٣٩) من حديث سمرة بن جندب، وعبدالله بن أحمد في زوائده على المسند (٩٠٣)، وابن ماجه (٤٠) من حديث علي بن أبي طالب، وهو حديث صحيح.

وقد صنَّف الشيخ جمال الدين بن الجوزي رحمه الله كتاباً سمَّاه "السهم المصيب في بيان تعصيب أبي بكر الخطيب" بيَّن فيه أغراضَه ودقائقَه وتعصُّبَه وبوائقَه، وأنه صرح بذمِّ الإمام أحمد رحمة الله عليه، فقال: وهم أحمد في مواضع، وذكر ما يدلُّ على أن الخطيب هو الواهم، وقد بسط الخطيب القول في ذمِّ أصحاب الإمام أحمد رحمة الله عليه، وقد أُجيب عن جميع ما ذكره وردَّ عليه.

وقال محمد بن طاهر المقدسي: لمَّا هرب الخطيب من بغداد عند دخول البساسيري إليها قدم دمشق، فصحبه حدَثٌ صبيحُ الوجه، فكان يختلف إليه، فتكلَّم الناس فيه وأكثروا، وبلغ والي المدينة، وكان من قِبَل المصريين شيعياً، فهجم عليه، فرأى الصبيَّ عنده وهما في خلوة، فقال للخطيب: قد أمر الوالي بقتلك، وقد رحمتُكَ، ومالي فيك حيلة، إلا أنني إذا خرجتُ بك أمرُّ على دار الشريف بن أبي الجِنّ العلوي فادخل داره؛ فإني لا أقدر على الدخول خلفك. وخرج، فمرَّ به على دار الشريف، فوثب الخطيب فصار في الدهليز، وعلم الوالي، فأرسل إلى الشريف يطلبه منه، فقال الشريف: قد علمتَ اعتقادي فيه ومن أمثاله، وليس هو من أهل مذهبي، وقد استجار بي، وما في قتله مصلحة؛ فإن له بالعراق صيتاً وذكراً، فإن قتلتَه قتلوا من أصحابنا عدةً، وأخربوا مشاهدنا. قال: فيُخرَجُ من البلد. فأخرجوه، فمضى إلى صور، واشتدَّ غرامه بذلك الصبي، فقال فيه الأشعار، فمن شعره: [من البسيط]

تَغَيَّبَ الناسُ عن عيني سوى قمرٍ ... حسبي من الناس طُرًّا ذلِكَ القمرُ
محلُّه في فؤادي قد تملَّكَهُ ... وحازَ روحي فمالي عنهُ مُصْطَبرُ
أردتُ تقبيلَهُ يوماً مخالَسةً ... فصارَ في خاطري من خدِّهِ أثَرُ
وكم حليم رآهُ ظنَّهُ ملَكاً ... وراجعَ الفِكْرَ فيه أنَّهُ بشَرُ

وقال فيه أيضاً: [من الكامل]

بات الحبيبُ وكم لهُ من ليلةٍ ... فيها أقامَ إلى الصَّباحِ مُعانِقي
ثمَّ الصباحُ أتى ففرَّقَ بيننا ... ولَقَلَّما يصفو سرورُ العاشِقِ

وقال فيه أيضاً: [من البسيط]

الخمرُ والوردُ حقٌّ ليسَ أجحدُهُ ... إذ ناسبا مَنْ بدا منه بلايايَ

فالخمرُ من طيبِ ريحِ الحُبِّ قد شَرُفَتْ والوردُ أضحى يُحاكي خدَّ مولايَ

وقال أيضاً: [من البسيط]

باللهِ أقسمُ أيماناً مُغلَّظةً ما مثلُ حبِّي مشى في سائرِ النَّاسِ
إذا بدا يتثنَّى خِلْتَهُ قمراً من فوق غصنٍ مديد الفَرْعِ ميَّاسِ
شربتُ من لَحْظهِ خمراً سكرتُ بها زادت على نعت خمرِ الكأسِ والطاسِ
فأورثَتْ مُهجتي من حُبِّه دنفاً وعظَّمَتْ حال أفكاري ووسواسي

ومن هذا قولُه وإخبارُه عن نفسه فكيف يُقبَلُ جرحُه وتعديلُه؟ وإنما العصبية ذهبت بالدين.

ومن شعره: [من الوافر]

لَعمرُكَ ما شجاني رسمُ دارٍ وقفتُ بها ولا ذِكْرُ المغاني
ولا أثرُ الخيامِ أراقَ دمعي لأجلِ تذَكُّري عهدَ الغواني
ولا ملَكَ الهوى يوماً قيادي ولا عاصَيْتُهُ فثنى عِناني
عرفتُ فِعالَه بذَوي التَّصابي وما يَلْقَون من ذُلِّ الهَوانِ
فلم أُطْمِعْهُ فيَّ وكَمْ قتيلٍ لهُ في الناسِ ما يُحصى وعانِ[1]
طلبتُ أخاً صحيحَ الودِّ محضاً سليمَ الغَيْبِ مأمونَ اللسانِ
فلم أعرِفْ من الإخوانِ إلَّا نفاقاً في التباعدِ والتَّداني
وعالَمُ دهرِنا لا خيرَ فيه ترى صُوراً تروقُ بلا معاني
ووصفُ جميعِهم هذا فما إنْ أقولُ سوى فلانٍ أو فلانِ
ولمَّا لم أجِدْ حرًّا يواتي على ما نابَ من نوبِ الزمانِ
صبرتُ تكرُّماً لقِراعِ دهري ولم أجزَعْ لما منهُ دهاني
ولم أكُ في الشدائدِ مستكيناً أقولُ لها ألا كُفِّي كفاني
ولكني صليبُ العُودِ عَوْدٌ ربيطُ الجأشِ مجتمعُ الجَنانِ
أبيُّ النَّفسِ لا أختارُ رزقاً يجيءُ بغير سيفي أو سناني
لَعِزٌّ في لظى باغيه يثوي ألذُّ من المذلَّةِ في الجنانِ

(١) العاني: الأسير. المعجم الوسيط (عني).

ومَنْ طلبَ المعالي وابتغاها أدارَ لها رحى الحربِ العوانِ[١]

وكان للخطيب شيءٌ من المال، فكتب إلى القائم بالله: إذا مِتُّ كان مالي لبيت المال، وأنا أستأذن أن أُفرِّقه على من شئت، فأذِنَ له، وكان مئتي دينار، ففرَّقه في أصحاب الحديث، ووقف كتبه على المسلمين، وسلَّمها إلى أبي الفضل بن خيرون، فكان يُعيرها، ثم صارت إلى ابنه الفضل، فاحترقت في داره.

قال ابن طاهر: جاء جماعةٌ من الحنابلة يوم الجمعة إلى حلقة الخطيب بجامع المنصور، فناولوا حدَثاً صبيح الوجه ديناراً، وقالوا له: قِفْ بإزائه ساعةً وناوِلْه هذه الرُّقعة. فناوله الصبيُّ إيَّاها، وإذا فيها: بحقِّ الذي أعزَّ المعتزلة بابن أبي دؤاد، والجهمية بجهم بن صفوان، والكرامية بابن كرام، وأعزَّ بك الأشاعرة، قل لنا: أيش مذهبك؟ وكان الخطيب في أول أمره يتنسَّك ويتَّبع السنة ولا يتعرَّض لغير الحديث، وكان الحنابلة تعتقد فيه، فلمَّا خالط المتكلمينَ وأهلَ البدع مالوا عليه، وكانوا يعطون السَّقاءَ قطعة يوم الجمعة، فكان يقف من بعيد بإزائه، ويُميل نصفَ القِرْبة وبين يديه أجزاء، فيبلُّ الجميع فتتلف، وكانوا يُطيِّنون عليه باب داره في الليل، فربما احتاج إلى الغُسل لصلاة الفجر فتفوتُه، وقد قدح في جماعة من الأئمة، فقال: كان مالكٌ قليلَ الحفظ، والحسنُ البصريُّ وابنُ سيرين يقولان بالقدر، ومالك بن دينار ضعيف، ولم يثبت من لسانه إلا القليل.

[وفيها تُوفِّي]

حسان بن سعيد[٢]

ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن مَنيع بن خالد بن عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد، المخزومي، أبو علي، [المَنيعي] من أهل مرو الرُّوذ، كان في أول عمره يتشاغل بالدهقنة وخدمة الملوك، ثم عنَّ له فانقطع إلى الله تعالى والعبادة وسماع

(١) الحرب العَوان: التي قوتل فيها مرةً بعد مرة. المعجم الوسيط (عون).

(٢) المنتظم ١٦/ ١٣٥ ، وتحرف في (م) اسم سعيد إلى: حسان. قلت: وتنتهي النسخة (ف) بعد الكلمة التالية.

الحديث والتقلُّل من الدنيا، فكان يصوم النهار ويقوم الليل، وبنى المساجد والقناطر والجوامع، وكانت الملوك تزوره وتتبرَّك به.

ووقع في بلده غلاءٌ، فكان ينصب القدور فلا يُمنَع من طعامه أحدٌ، ويتصدَّق في السر، ويكسو كلَّ سنة خلقاً كثيراً، ويزوِّج الأرامل واليتامى، ويمشي من بيته إلى المسجد، وكان بعيداً عن بيته، ويلبس الغليظ من الثياب، ويصلي على قطعة لبد، ويقعد على التراب، وأغنى فقراء مرو ونيسابور وبلده، وأنفق أمواله في أبواب البر، ومازال به التقلُّل والمجاهدة حتى مرض بنيسابور مرضاً شديداً، فحُمِل إلى مرو الرُّوذ، فتوفي بها.

[وفيها تُوفِّي]

علي بن [يوسف بن] عبد الله[١]

أبو الحسن، الجُويني، ويُعرف بشيخ الحجاز، كان زاهداً، عابداً، وهو عمُّ أبي المعالي المتكلم.

[وفيها توفِّيت]

كريمة بنت أحمد[٢]

ابن محمد بن أبي حاتم المروزية، من أهل كُشْميهَن، قرية من قرى مرو، وكانت عالمةً، فاضلةً، صالحةً، زاهدةً، عابدةً، قدمت مكة، فأقامت بها حتى ماتت.

[وفيها توفِّي]

محمد بن علي[٣]

ابن محمد بن حُباب، أبو عبد الله، [ويُعرف بابن الدُّرزي]، الصُّوري، الشاعر، كان فصيحاً، تُوفِّي بطرابلس وقد نَيَّف على السبعين، ومن شعره: [من مجزوء الكامل]

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٣/ ٢٩٢ ، وما بين حاصرتين منه.

(٢) المنتظم ١٦/ ١٣٥-١٣٦ .

(٣) تاريخ دمشق١٤/ ٣٩١-٣٩٢ .

صَبٌّ جفاهُ حَبيبُهُ فحلا له تعذيبُهُ
فالنارُ تُضرَمُ في الجوا نحِ والسَّقام[1] يُذيبُهُ
حتى بكاهُ لِما دها ه[2] بعيدُهُ وقريبُهُ
وتآمروا في طِبِّهِ كيما يخِفَّ لهيبُهُ
[فأتى الطبيبَ وما دَرَوا أن الطبيبَ حبيبُهُ][3]

محمد بن علي

ابن الحسن بن الدجاجي، أبو الغنائم، القاضي، سمع الكثير، وكان له مالٌ فافتقر، فجمع له المُحدِّثون شيئاً وأتوا به إليه، فقال: وافضيحتاه، آخذُ على حديث رسول الله ﷺ أجرة؟ لا واللهِ. وبكى ولم يقبله[4]، وتوفِّي في سلخ شعبان، ودُفن بمقابر الخيزران يوم الجمعة غُرَّة رمضان، [سمع أبا طاهر المخلص وغيره]، وكان صحيح السماع صدوقاً، [وروى عنه مشايخ مشايخنا].

محمد بن وِشاح بن عبدالله[5]

أبو علي، ولد سنة تسع وسبعين وثلاث مئة، وكان كاتباً لنقيب النقباء الكامل، كان فاضلاً، تُوفِّي في رجب عن أربع وثمانين سنة، ودُفِنَ عند جامع المنصور، ومن شعره: [من الطويل]

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجَبَ حَمْلَها عليَّ ولا أنِّي تحنَّيتُ من كِبَرْ
ولكنَّني ألزمتُ نفسي بحملِها لِأُعلِمَها أنَّ المقيمَ على السَّفرْ

انتهى تاريخ الخطيب أبي بكر في هذه السنة، ومن السنة الرابعة والستين وأربع مئة ذيَّل عليه أبو سعيد عبد الكريم بن منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد السمعاني.

---

(١) في (م) و(م١): الغرام.
(٢) في (م): هواه.
(٣) في تاريخ دمشق وفيه: أنَّ الحبيبَ طبيبُهُ.
(٤) في (خ) و(ف): فلم يقدر! والمثبت من (م).
(٥) تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٦، والمنتظم ١٦/ ١٣٦.